المحبّة في العهد الجديد.

الخوري ميشال صقر

مقدمة

للفعل "أحبّ" في الأصل اليوناني مرادفان: كلمة "agapaô" التي تعني الحب الكبير النموذجي وكلمة "phileô" التي تعني حب الصداقة الذي هو أقل درجة من الاول. وفي اللغة اليونانيّة كلمة أخرى غير موجودة في العهد الجديد "erôs" الحب الغريزي أو الشهواني. أما في اللغة اللاتينيّة، فكلمة "agapê" المشتقّة من الفعل الأول قد تُرجمت إلى "caritas"، هذا ما جعل الترجمات الفرنسيّة تختلف كثيرًا في ما بينها: ففي نشيد المحبة مثلاً (١قور ١٣/١) استعملت الترجمة المسكونيّة المعروفة بـ "TOB" كلمة "amour" أما الترجمة اليسوعيّة المعروفة بـ "Bible de Jérusalem" استعملت كلمة "charité". في اللغة العربيّة نعتبر الكلمتين "حب" و"محبّة" مرادفَين لكنّهما تختلفان عن "الصدقة" الإجتماعيّة وعن "الصداقة" في العلاقات الإنسانيّة، حتى ولو كانتا تتضمّنان بطريقة أو بأخرى معنى هاتَين الأخيرتين.

بناءً على ذلك، سنعرض في ما يلي مفهوم المحبّة في العهد الجديد، من خلال أقسامه الأربعة الكبيرة المعتمدة علميًّا، ونُظهر في النهاية خلاصة لاهوتية كتابيّة حول هذا الموضوع.

١- المحبّة عند متى مرقس ولوقا

لقد أبرز الإزائيّون يسوع إبنًا حبيبًا للآب (متى ١٧/٣؛ مر ١١/١؛ لو ٢٢/٣). لم يتكلّموا بطريقة واضحة عن حب الله للبشر إنما تكلّم يسوع عن الرحمة (متى ٩/٩ و٧/١٢) وعن السلوك الأخلاقي المحب. ولقد أعطى، في تعليمه، الوصيّة الأولى والكبرى في الشريعة مكانة خاصة عندما شدّد على حب الله من كل القلب والنفس والعقل، وقال أيضًا إنّ الوصية الثانية التي تشبهها هي "أحبب قريبك حبّك لنفسك" (متى ٣٦/٢٢-٤٠؛ مر ٢٨/١٢-٣٤). لكنّ هاتين الوصيتَين ليستا بجديدتَين إذ تتواجدان في العهد القديم (تث ٥/٦؛ لا ١٨/١٩). أمّا الجديد في تعليم يسوع فيكمن في الانتقال من محبّة القريب إلى محبّة الأعداء ومباركة المضطهِدين (متى ٤٤/٥). وقد أعطى مثلاً عن ذلك في السامري الصالح الذي عامل عدوّه اليهودي بالرحمة (لو ٢٥/١٠-٣٧).

٢- المحبّة عند يوحنا

إنجيل يوحنا، رؤيا يوحنا والرسائل الثلاث المنسوبة إليه هي المخزون الأساسي عن تعليم العهد الجديد حول المحبّة. فوحده يوحنا يحدّد الله قائلاً: "الله محبة" (١يو ٨/٤ و١٦). وهذا الوصف ليس نظريًّا أو تحديدًا جوهريًّا لطبيعة الله في جوهر ذاته الإلهيّة، بل وصف للعمل الخلاصي الكامل الذي حقّقه في تاريخ الخلاص. وبعبارة صريحة نجد أنّ الله هو الذي، أولاً، أحبّ العالم، وليس العكس، حتّى إنّه جاد بابنه الوحيد (يو ١٦/٣). أما بالنسبة لوصيّة المحبّة فهي جواب الانسان على حب الله، وبذلك يبتعد يوحنا عن العهد القديم معطيًا المثل في المحبّة لا "نفسك" إنما "كما أنا أحببتكم" (يو ٣٤/١٣): فعلينا أن نحبّ بعضنا بعضًا كما المسيح أحبّنا، وقد أحبّنا هو كما قد أحبّ الآب (يو ٩/١٥). وهكذا، ليست الحياة المسيحيّة إيمانًا نظريًا فحسب، بل هي أيضًا سلوك عملي في خطى المسيح (١يو ٦/٢)؛ فالالتزام بالمحبّة التي بها بذل المسيح نفسه عنّا تعني أن لا محبّة لله بدون محبّة الأخوة (١يو ٢٠/٤) ولا محبّة للأخوة بدون محبّة الله (١يو ٢/٥). إنّ المؤمنين يدخلون في علاقة الحب المميّزة التي تربط الابن بالآب (يو ٢٦/١٧)، وعليهم أن يحبّوا الآب والابن الحب ذاته (يو ٢١/١٤)؛ فهذه المحبّة هي التي تؤسس للمحبّة الأخويّة.

٣- المحبّة عند بولس

إنّ بولس، وريث العهد القديم، يربط عادة بين المحبّة والاختيار: فالمختارون والمدعوّون هم "المحبوبون" (قول ٣/١٢؛ ٢تس ٢/١٣) وبطريقة أخرى إنّ المحبّة هي عطيّة مجّانيّة من الله (روم ٩/١٦). مبادرة المحبّة هي من الله وتتجلّى في الفعل الخلاصي: فالمسيح يسوع أظهر حبّه لنا إذ جاد بنفسه ومات من أجلنا لمّا كنّا خاطئين، مع العلم أنّه ربما قد يجرؤ أحد أن يموت من أجل امرءٍ صالح، فكيف ولو كان خاطئًا؟ (روم ٥/٦-٨). إنّ المحبّة تحمينا من الغضب الآتي وتصالحنا مع الله. فالله والمحبّة مرادفان (٢قور ١٣/١١ و١٣). وقد شبّه أيضًا بولس حب المسيح بميزات الحب الزوجي ليؤكد على الأمانة والاختيار (أف ٥/٢٥).

من جهّة أخرى، معروف أنّ الرسائل البولسيّة مقسومة إجمالاً إلى قسم عقائدي وآخر أخلاقي؛ فهذا القسم الأخلاقي يشدد بدرجة أولى على المحبّة. يعرف المؤمن المبرَّر أنه محبوبٌ من الله (روم ٥/٥). لذلك، عندما يجاوب على حب الله، يُعلن إيمانه المرتبط بالمحبّة (١تس ٣/٦ و٥/٨). فالإيمان يؤسس المحبّة الأخويّة (غل ٥/٦)، لكنّ الإيمان، مهما كان كاملاً وناقلاً للجبال، إن نقَصته المحبّة فليس بشيء (١قور ١٣/٢). إنّ بولس لا ينفي أهميّة الفضائل الإيمانيّة الثلاث، الإيمان والرجاء والمحبّة، لكنّه يُعلن أن أعظمهنّ المحبّة لأنّها لا تسقط أبدًا: إنّها أبديّة (١قور ١٣/٨ و١٣). فالمحبّة وحدها هي التي تكوّن جماعة المؤمنين، جسد المسيح السرّي (أف ٤/١٥ و فل ٢/٢).

٤- المحبّة في الرسائل الكاثوليكيّة

تشدّد الرسالة إلى العبرانيين على أنّ المؤمنين يظهرون عادةً محبّة كبيرة من اجل "الاسم" إذ يخدمون القديسين (عب ٦/١٠)، ولكن، إن ضاق بهم الأمر، عليهم ان يتذكّروا أنّ مَن أحبّه الله يؤدّبه (عب ١٢/٦).

أما يعقوب فيشدّد في رسالته على الطابع الاجتماعي للمحبّة. فهو إذ يذكّر بوصية "أحبب قريبك حبك لنفسك" يقول إنّ الإيمان يجب ان يُتَرجم بالأعمال، والمحبة يجب أن تتجلّى بطريقة ملموسة من خلال أعمال الصدقة والرحمة تجاه الفقراء (يع ٢/٥-٩).

من ناحيته، يشدّد بطرس الرسول على واجب المؤمنين حبّ بعضهم البعض حبًّا أخويًّا بلا رياء لأنهم وُلدوا ولادة ثانية من كلمة الحياة (١بط ١/٢٢-٢٣). فبالرغم من أنّهم لم يروا المسيح لكنّهم يحبّونه، يؤمنون به وينتظرون مجيئه الثاني (١بط ١/٨). عليهم أن يكونوا فيما بينهم متّفقين في الرأي، متحابّين كالأخوة، رحماء ومتواضعين (١بط ٣/٨)؛ فالمحبة تستر جمًّا من الخطايا (١بط ٤/٨).

ويهوذا الرسول يقول إنّ المؤمنين هم مدعوّون ومحبوبون من الآب وقد حفظهم ليسوع المسيح (يه ١)؛ عليهم ان يحفظوا أنفسهم في محبة الله (يه ٢١).

خلاصة لاهوتيّة

من أولى صفحات العهد الجديد إلى آخرها، يظهر حبّ القريب غير قابل للانفصال عن الحب الإلهي. فتظهر المحبّة **كهبة** و**شركة**: إنّ المحبّة "**هبة**"، خاصة من خلال الأناجيل الإزائيّة وبولس الرسول، على صورة الله الذي سلّم مجانًا ابنه لخلاص جميع الخطأة بدون أي فضل من قبلهم؛ والمحبّة هي أيضًا "**شركة**"، وهذا ظاهر بطريقة خاصة في الكتابات اليوحنويّة التي تشير أنّ الآب والابن هما بشركة في الروح القدس، وكنتيجة لهذه الحقيقة، على المؤمنين أن يحبّوا بعضهم

بعضًا للتعبير عن الشركة التامّة التي تجمعهم بالمسيح. فبعد هذا العرض، ما هي الأفكار اللاهوتيّة الكتابيّة التي نستخلصها من دراستنا لموضوع المحبّة في العهد الجديد؟

أ- الله محبّة

إنّ الله لا يكشف لأول وهلة عمّن هو، ولكنّه يتكلّم ويدعو ويعمل، وبذلك تزداد معرفة الانسان به عمقًا. لقد كشف الله، بإعطائه إبنه، أنّه هو الذي يعطي نفسه بدافع الحب. وإذ يحيا الابن مع أبيه في حوار محبّة مطلقة، يكشف أيضًا أنه "هو والآب واحد" منذ الأزل، ويعرّفنا، هو الذي في حضن الآب، الابن الوحيد، بالذي "ما رآه أحدٌ قط". وهكذا استطاع التلميذ الحبيب يوحنا، الذي عاش اختبار المحبّة والإيمان، أن يعطي التحديد الذي يعبّر عن ماهيّة الله قائلاً: "الله محبّة". فمن بين جميع الكلمات البشريّة، بما فيها من غنىً وتقصير، تبقى كلمة "المحبّة" هي التي تسمح لنا بأن نتبيّن، على أفضل وجه، سر الثالوث الإلهي والهبة المتبادلة والأزليّة بين الآب والابن والروح القدس.

ب- محبّة الله للناس

تتجلّى محبّة الله للناس بإرساله إبنه إلى العالم "فصار بشرًا وسكن بيننا". وأثناء تدبيره الخلاصي، قام المسيح بأعمال رحمة وشفاءات كثيرة معبِّرًا هكذا عن حبّه لنا. فقد علّم أنه "وديع ومتواضع القلب"، وبعنايته الخاصة بالخطأة والمنبوذين، استطاع أن يدعوهم إلى التوبة. ويبقى غفرانه لصالبيه وموته على الصليب البرهان الأكبر على المحبّة اللامتناهية من الله للبشر. وقد أعطى الكنيسة رسالة تبشير الشعوب بهذه المحبّة، غافرة خطاياهم ومشركة إيّاهم في وليمة الإفخارستيا، في ذلك العرس الذي لا ينتهي.

ج- محبّة الناس لله

عداوة الناس لله تجلّت ببعدهم عن الوصايا وبصلب إبنه. لكنّه، بدمه الذكي، غفر لهم وأشركهم من جديد في الحياة الأبديّة. فمنذ ذلك الحين أصبح من واجبهم مبادلة هذا الحب بالحب. وبما أنّ هذه الكلمة قد لا تعبّر عن ثقة الناس التامة بالله، استعمل العهد الجديد أيضًا كلمة "إيمان" الذي يشكّل مع المحبة يدَي المسيحيّ، غير المنفصلتَين، في علاقته بالله. فالتعبير عن الإيمان والمحبّة يكمن من خلال حفظ الوصايا، ممارسة الشعائر الدينيّة، قراءة الكتاب المقدس، والمواظبة على "الصلوات والتعليم وكسر الخبز".

د- المحبّة الأخويّة

كترجمة عمليّة لحب الناس لله، عليهم أن يحبّوا بعضهم البعض. المسؤولون في ما بينهم عليهم أن يعرفوا أنّ شرط المسؤوليّة هي المحبّة: "أتحبّني؟ ... إرعَ خرافي!". وعلى المؤمنين أن يكونوا في ما بينهم كالأخوة: مسارعين إلى ضيافة الغرباء، معتنين بالمرضى والفقراء واليتامى والأرامل، ساعين إلى السلام والعدالة، وناشرين ثقافة الحريّة وحضارة المحبّة! هذه المحبة تُترجم عمليًّا، ليس فقط للذين في دائرة الحياة المسيحية، إنما أيضًا للعدو والمضطهِد واللاعن والمُبغض، تمامًا كما فعل المسيح على الصليب. في نهاية المطاف، إنّ هذه المحبّة تجاه القريب هي محبّة تجاه المسيح الذي ساوى نفسه بالمحتاج عندما قال: "كنتُ جائعًا وعطشانًا وغريبًا وعريانًا ومريضًا وسجينًا وأسعفتموني". فوجود هكذا حب في الجماعة المسيحيّة يوحّد الكنيسة ويعطي، للذين في الخارج، الشهادة الحقيقيّة للتلمذة المسيحيّة.

المراجع

LEON-DUFOUR, X., «Amour» in *Dictionnaire du Nouveau Testament*, Paris 1996, 114-115.

MOULTON, W.F. – GEDEN, A.S., *Concordance to the Greek New Testament*, London New York 1897, 2002[6].
PALMER, F.H., «Amore, Amato (Diletto)» in *Dizionario Biblico GBU*, Roma 2008, 54-57.
SANTIAGO, L., *Sofrer e Amar*, Canção Nova, São Paulo 2006.